



سورة الانسان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (1) ﴾

شرح الكلمات:

هل أتى: أي قد أتى.

على الإنسان: أي آدم عليه السلام.

حين من الدهر: أي أربعون سنة.

لم يكن شيئاً مذكوراً: أي لا ناهية ولا رفعة له لأنه حين لا ريب وحماً مسنون وذلك قبل أن يخلق الله تعالى فيه الروح.

المعنى الإجمالي:

قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ يخبر تعالى عن آدم أبي البشر عليه السلام أنه أتى عليه حين من الدهر قد يكون أربعين سنة وهو صورة من طين لا روح فيها، فلم يكن في ذلك الوقت له ناهية أو رفعة فيذكر. هذا الإنسان الأول آدم أخير تعالى عن بدء أمره.

وتبيّن الله تعالى أنه خلق الإنسان وأوجده من عظم، وتساءل الله تعالى الإنسان: ألا يعرف الله معنى عليه حين من الزمان؟ فقل أن يخلق فيه الروح، ولم يكن قبل ذلك شيئاً يعرف فيذكر اسمه؟ وقد علم الله أنهم يقولون: نعم قد أتى عليه ذلك، فيقال لهم: الذي أوجده من العدم بعد أن لم يكن كيف يمتنع عليه إحياءه من العدم؟ والإنسان من حيث هو إنسان مر عليه حين من الدهر كانت الكرة الأرضية خالية منه، وهذا الزمن لا يعلمه إلا الله. وها هو أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً أي

أتى على الإنسان (جس الإنسان) زمن كان فيه منسياً غير موجود فلم يكن آدم وبنيه شيئاً معروفاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخلق المتقدمين عليه وهم الملائكة والجن. وهذا إخبار بكون الإنسان في بدء الخلق معدوماً غير مخلوق والآية كالتقدمة والوطئة للتي تعقبها والتأكيد خاتمة السورة المخدمة. وهي حقيقة لا ينكرها أحد ويؤكدها علماء طبقات الأرض الذين قالوا: لم يوجد الإنسان على الأرض إلا بعد خلقها بأحقاب طوال.

وكلمة (الإنسان) في الآية تعني كل إنسان، إذ البشر كلهم مخلوقون، حادلون، وجدوا بعد أن كانوا في العدم، ولم يكونوا شيئاً يذكر، كقولهم سبحانه وتعالى - في شأن النبي زكريا عليه السلام - : (قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ لَكُ شَيْئًا) مريم/9 أما بالنسبة للذكر الله تعالى وعلمه، فالبشر كلهم مذكورون في العلم الأزلي، مكتوبون في اللوح المحفوظ، وللرسل والأنبياء جميعاً ذكر خاص في المرتبة العليا، فهم أفضل البشر، وذكرهم في علم الله تعالى يناسب رفيع مقام النبوة والرسالة التي وهبهم الله إياها.

عظمة خلق الإنسان:

خلق الله آدم من تراب كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يَخْلُقُكَ مِنْ طِينٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ {الروم: 20}. والتراب إذا أخيف إليه الماء صار طيناً كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَافَةِ مِنٍّ﴾ {المؤمنون: 12}. والطين إذا تغير واسود لظول مجاورته للماء صار حملاً، ثم صار مسوناً، ومسنون: المصوب أو المصوب ليس كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمٍ مَّسْنُونٍ﴾ {الحجر: 26}. فإذا يس الطين واشتد صار صلصالاً، وهي المرحلة الأخيرة من خلق الإنسان كما قال سبحانه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ {الرحمن: 14}.

أما الإنسان الذرية فقد خلقه الله من نقطة وهي الماء، فهو سبحانه:

﴿أَلَدَىٰ أَحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ لَشَلَّةٍ مِنْ صَلَافَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (8)﴾ {السجدة: 7، 8}. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إِنَّ أَحْسَنَكُمْ لَخَلْقُ خَلْقَةٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَخُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَخُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَنْفُثُ اللَّهُ عَلَاقًا فَيُلَازِمُ بَارِئَ كَلْبَتِهِ، وَيَقَالُ لَهُ: اخْتَبِ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ وَشَقِي أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» متفق عليه.

أمام هذه العظمة لا بد أن يقف الإنسان وقفات يعرف

بما أين هو من هذه العظمة وما دوره تجاهها:

1- أن يعلم الإنسان أنه ضعيف بخلقه وطبيعته، ولتقوية ذلك الضعف عليه أن يكون من المطيعين لله حتى يقوى ويكون من المقربين، فإنه لو عصى الله وتكرر عليه (ازداد ضعفاً ودلاً وهواناً) ونعداً من ربه.

2- أنه لا بد من التفكير في خلق السموات والأرض للتعرف على الله الخالق العظيم.

3- أن يسخر الإنسان وسائل التطور الحديثة في طاعة الله وفي الدعوة إلى سبيله، وأن يزيده النظر في الكون بصيرة إلى بصرته وإيماناً إلى إيمانه.

4- عند النظر في عظمة الكون المخلوق لله فإنه يجب على الإنسان أن يتواضع وأن يعلم أنه مخلوق صغير جداً يتحرك على ظهر الأرض، وهذا يزيد معرفته بنفسه وذاته، ويكون على علم ويقين أنه مخلوق ضعيف، وأنه عائد إلى الله العلي العظيم.

5- ألا يأس المسلم من تسلط الأعداء على الدين وأهله، وأن يعلم علم اليقين أن الله على كل شيء قدير وأنه من عظمتهم يقول للنبي: كن فيكون، فيرداد نفسه بالله ونفسه بخيله، ويعلم أن العباد جعفاء محضون لله العظيم، مهما تكبروا وطغوا في الأرض، فإنهم عائدون إلى ربه العظيم الأعلى.